المعجم: أسسه وبناؤه
على ضوء ما طرحه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح

Dictionary Principles and Construction
On The Light of the Works of Abderrahman Hadj Salah

محمد عثماني
جامعة أمحمد بوقرة - بومرداس
m.otmani@univ-boumerdes.dz

الملخص:
هذه مقالة بحثية نحاول فيها النظر إلى الصناعة المعجمية عند علم من أعلام الجزائر في ميدان اللسانيات ألا وهو عبد الرحمن الحاج صالح من حيثيتين: الأولى هي النظر إلى صناعة المعجم عنده من حيث الأسس الواجب اتباعها في الوضع والتأسيس، والثانية من حيث التقنيات الواجب العناية بها في عملية التحقيق والتحرير.

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم، الأسس، التقنيات، علم صناعة المعجم، علم اللغة.

Abstract:

We try in this article to look at lexicography in the works of Abderrahman Hadj Salah, a prominent Algerian linguist. We have undertaken this work from two points of view: the first one concerns the fundamental concepts of lexicography in terms of development and establishment, and the second one in terms of the techniques of investigation and editing.

Keywords: Abderrahman Hadj-Salah, dictionary, fundamental concepts, techniques, lexicography, linguistics.

مقدمة:

نحاول في هذه المقالة البحثية النظر في ما قدّمه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من أعمال خدمة للغة العربية في ميدان المعجم من جهتين: من جهة صناعته من حيث التقنيات والأدوات التي يجب اتباعها في وضعه وبنائه. ومن جهة مفرداته من حيث الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها في الجمع والاختيار.

هذا، وقد رجعنا إلى كثير مما كتبه الأستاذ فيما يتعلق بما نريد بيانه وتوضيحه هنا مع التنبيه إلى أمرين مهمّين:

1- أنّ أعمال الأستاذ في هذا الميدان كثيرة ومتنوعة ومتشعبة ومتداخلة مع غيره من الميادين اللغوية، لذا عملنا على الرجوع إليها كلّها تصريحا أو تلميحا بما يخدم مرادنا لا غير.

2- أنّ قصدنا ومرادنا ليس الإحاطة والتتبع التام بقدر ما هو التنبيه إلى جهود الأستاذ في هذا الميدان ومحاولة التقريب والتيسير والتوضيح من غير ادعاء شيء من الإحاطة.

فكانت إشكالية العمل هي: ما أسس بناء المعجم عند الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح؟ وما تقنيات بنائه عنده؟، فنحاول هنا الإجابة عن هذين السؤالين تحديدا.

1. بيان حقيقة المعجم:

قد تعرّض العلماء قديما وحديثا إلى بيان مفهوم المعجم متناولين حقيقة اللفظ في اللغة العامة قبل أن ينتقلوا إلى اللغة المتخصصة:

1.1. المعجم لغة: إن اشتقاق مادة (معجم) في اللغة العربية كما جاءت في كتب اللغة العربية ومعجماتها هي كما يلي:

يقول ابن جني: "اعلم أن (ع ج م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح. من ذلك قولهم: رجل أعجم وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما. والعُجْم والعَجَم، واستعجم العربي القراءة، لم يقدر عليها لغلبة النعاس عليه، والعجماء البهيمة لأنها لا توضح ما في نفسها، واستعجم الرجل: سكت، واستعجمت الدار عن جواب سائلها سكتت"[1].

اعلم أن أعجمت وزنه أفعلت وأفعلت هذه وإن كانت في غالب أمرها تأتي للإثبات والإيجاب نحو أكرمت زيدا أي أوجبت له الكرامة، فقد تأتي أفعلت أيضا ويراد بها السلب والنفي، وذلك نحو أشكيت زيدا أي أزلت عنه ما يشكوه، وكذلك قولنا أعجمت الكتاب أي أزلت عنه استعجامه. يقول الجوهري: "الأعجم" الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان من العرب"[2].

وجاء في لسان العرب: "العجم خلاف العرب... والعجم جمع الأعجم الذي لا يفصح... ولا يبين كلامه وإن كان عربي النسب"[3]. فالمعاني التي أوردها (لسان العرب) تدور حول الإبهام والإخفاء والغموض والعجز عند الإفصاح والإبانة، إلا أنه يضاف لهذا المعنى ما يدل أيضا على الإيضاح والبيان في مادة "عجم" بفتح العين. وقد تعلم العرب الكتابة من أبناء الشعوب السامية، حيث اقتبسوا حروف الهجاء، ولكنهم وجدوا أن عددا من هذه الحروف يلتبس رسمه، فابتدعوا تمييزه بطريقة النقط، وقد سمى العرب عملية نقط الحروف لإزالة لبسها وإبهامها "إعجاما" من "التعجيم"، وهي إزالة العجمة بالنقط من قولهم: أعجم الشيء إذا أزال غموضه. وسميت حروف الخط العربي بعد ذلك حروف المعجم، أي حروف الخط الذي أعجم ونقط فزال منه اللبس والغموض.

ومن هذه الدلالة جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل اللبس عن معاني الكلمات بعضها ببعض بالمعجم، نظرا لخضوعه لترتيب حروف المعجم. وذلك ما يقودنا إلى تعريف المعجم في اصطلاح اللغويين.

2.1. المعجم اصطلاحا: المعجم عند علماء صناعة المعاجم هو في الحقيقة يقابل المصطلح الأجنبي (Lexicographie) ويقولون في تحديده أنّه: "مجموعة مفردات تنتمي إلى لغة معينة تأتي مرتبة في الغالب على حروف الهجاء تُعرض فيها إلى أحوالها اللفظية والمعنوية وضعا مع وصف شيء من استعمالها"[4].

وبقي لنا هنا أن نبين حقيقة علمين مهمين يدرسان المعجم هما باللفظ الأجنبي: الأول (Lexicographie) والآخر (Lexicologie). فالعلم الأوّل (Lexicographie) يترجمه الباحثون بعلم صناعة المعجم، أو الصناعة المعجمية[5]؛ وهو علم يهتم بـ"جمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها وفقا لنظام معين، وكتابة

المواد، ثم نشر النتاج النهائي، وهذا النتاج هو المعجم أو القاموس"[6]. فهو على هذا يشتمل على خمس مهام هي:

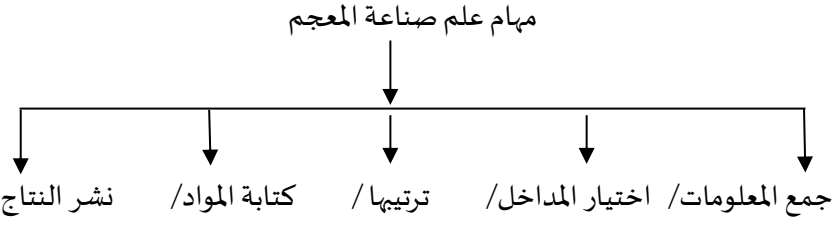

الشكل 1

وأمّا العلم الثاني (Lexicologie) فيترجمه الباحثون بعلم اللغة. يقول الحاج صالح: "إنّنا نظن أنّ اللفظ العربي (علم اللغة) الذي يؤدي مفهوم الـ (Lexicologie) مناسب تماما، ولا نحتاج إلى استعمال لفظ آخر مثل (المعجمية) لأنّ فنّ المعاجم هو شيء آخر"[7]. ويترجمه غيره بعلم المفردات أو علم الألفاظ[8]. وأما مفهومه فهو "دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات. ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ، وأبنيتها، ودلالتها المعنوية والإعرابية، والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات، وتعدد المعاني"[9].

العلوم التي تدرس المعجم[10]

(Lexicologie)	(Lexicographie)
- وهو علم اللغة (الحاج صالح).	- علم صناعة المعاجم
- علم المفردات أو علم الألفاظ (علي القاسمي).	- الصناعة المعجمية.

الشكل 2

2. أسس وضع المعجم:[11]

قد وضع الحاج صالح عددا من الأسس العلمية التي يجب على واضعي المعجم

العمل على ضوئها إذا أرادوا أن يحققوا العلمية والجودة في ما ينتجونه من معاجم متنوعة، وهي:

* **أوّلا:** "ضرورة الرجوع في كل ما يدرجونه في معجمهم إلى مجموعة واسعة جدا من النصوص الأدبية والعلمية والعادية يجعلونها هي المستقى الكلي والوحيد لكل الألفاظ التي تدخل في المعجم"[12]. وكل هذه الوثائق التي يتم جمعها هي المدونة التي يعتمد عليها واضع المعجم، وهي المدونة باللغة العربية وتسمى باللغة الأجنبية (Corpus)، وهي عامّة عند كل لغة تريد أن تضع معجما حقيقيا يمثل اللغة تمثيلا حقيقيا وواقعيا، ففي اللغة الفرنسية مثلا نجد أنّ (ذخيرة اللغة الفرنسية Trésor de la langue française) تُغطي الاستعمال للغة الفرنسية لمدة قرنين، وقد دُونت المعطيات اللغوية (النصوص الأدبية والعلمية) لما أنتجه الفرنسيون في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وتتبع الباحثون استعمال كل مفردة في جميع سياقاتها في جميع النصوص المدونة، ولجئوا في ذلك إلى الحاسوب، ثم حرر كل عالم عددا من المداخل اعتمادا على هذا الذي دونوه أولا ثم على الدراسات الدقيقة للسياقات -كل السياقات- لجميع الكلمات، فأصدروا هذه الذخيرة في 16 جزءا كبيرا على شكل معجم (من 1976 إلى 1994) (وهو عامّ وتاريخي وعلمي)، ثم شرعوا في حوسبة المعجم نفسه ليصير آليا، وأنهوا هذا العلم الكبير العملاق في 1998، ولم يبخلوا فبذلوا الجهود والأموال الهائلة لإنجازه، ووفقوا إلى حد بعيد في كل ذلك، فهو الآن في متناول أي باحث في أي وقت باللجوء إلى شبكة الأنترنيت"[13]. وهذا مهم جدا لأنّه لا حياة للمفردة إلا داخل الاستعمال وداخل سياق معين وفي حالات ووضعيات خطابية معينة، صادرة من متكلم معين ومتجه إلى مخاطب معين أو أكثر من مخاطب واحد، وللمفردة معان وضعية ومعان خطابية لا يمكن أن تظهر إلا داخل استعمالات معينة، والاقتصار على المعنى الوضعي يوقع المستعمل في الخطأ البين من حيث الاستعمال أو الفهم.
* **ثانيا:** ضرورة الرجوع إلى المجامع اللغوية لما يتم وضعه من الألفاظ الجديدة التي تقابل المعاني الحادثة، يقول الحاج صالح: "أمّا اللغوي فلا يجوز أن

يضيف ما يضعه إلى معجم يضعه إلا إذا أقره مجمع أو اتحاد المجامع وإلا دخلت الفوضى على كل ما يوضع. وحتى اتحاد المجامع يحتاج للإقرار النهائي أن يجرب قدرة المولود الجديد على الانتشار بإقبال الناس عليه من أهل الاختصاص وذلك يمكن أن يتم بعرض اللفظ الجديد على كل المؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحوث واستفتاء جمهور الناس عن طريق التلفزة مثلا- في فترات مناسبة وبكيفية منتظمة"[14].

* **ثالثا:** ضرورة التفطن إلى وجود مستويين من التعبير اللغوي الفصيح، وهما مستوى التعبير الإجلالي، ومستوى التعبير الاسترسالي. فالأول يكون في "حالة انقباض المتكلم وشدّة عنايته بما يفوه به من ألفاظ وما يحدثه من صياغة وهذا تقتضيه حرمة المقام. فالمثقف العربي الغيور على لغة القرآن لا يستعمل في هذه الحال إلا الفصحى. والثاني: حالة تبذل واسترسال وعفوية التعبير، وهذا يحصل في مواضع الأنس والاسترخاء ولا نعرف عربيا يستعمل في هذا المقام غير العامية (إلا من شذّ شذوذا كبيرا)"[15]. وهذا الجانب يجب العناية به، إذ يوجد في العامية الحالية من الألفاظ التي هي فصيحة أو قريبة من الفصيحة فلا ينبغي إهدارها، بل يجب الأخذ بها في وضع المعاجم إذ هي الألفاظ التي تناسب مقامات التبذل والاسترسال والعفوية التعبيرية العادية، وما ينبغي أن نضع الألفاظ الخاصة بمقام الانقباض والشدة موقع التبذل والاسترسال وإلا وقع الاستهزاء بالمستعمل للغة العربية.
* **رابعا:** وهو من صميم المعجم المدرسي، فإضافة إلى ما تم بيانه في أسس وضع المعجم على جهة العموم، فإنّ لمعجم الطفل خصائص يجب مراعاتها، فيجب مراعاة الرصيد اللغوي. يقول الحاج صالح: "إن الرصيد من اللغة التي يجب أن يُعلّم للطفل هو مجموعة من المفردات والعبارات العربية الفصيحة أو ما كان على قياسها مما يحتاج إليه التلميذ في سنّ معينة من عمره حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض والمعاني العادية التي تجري في التخاطب اليومي من جهة، ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة"[16]. ولا يتم هذا إلا بالاعتماد على المبادئ التالية:

أ. يجب الاعتماد على الواقع دائما في عملية الرصد للألفاظ والعبارات.

ب. يجب أن ينطلق من المتعلم نفسه في عملية الانتقاء، ينظر إلى اهتماماته واحتياجاته في الحياة في مستويي التعبير الإجلالي والاسترسالي.

ج. يجب ألا يتجاوز الرصيد الحد الأقصى مما يقدر الطفل على اكتسابه من الألفاظ، وألا يقل عنه.

3. تقنيات وضع المعجم:

يرى الحاج صالح أن هناك مجموعة من التقنيات الواجب اتباعها لوضع معجم علمي ذي قيمة علمية وصناعة متينة ورصينة، وهي[17]:

1- الاعتماد على الحواسيب في عملية المسح الشامل والكامل للنصوص المنطوقة فعلا في مختلف الكتابات القديمة والحديثة وفي مختلف المخاطبات، وذلك لتسهل عملية التتبع التام لمختلف السياقات التي وردت فيها المفردة (إذ يجب ذكر كل كلمة مع ما اقترنت به من القرائن في نص أو نصوص، ويسميه أهل الاختصاص بالفرنسية: Concordance أو Index. وهذا مفيد جدا في ربط كثير من الكلمات بالسياقات الواردة فيها وعدم تجاوزها لها، فمثلا يجب مراعاة تراكيب معينة في عملية الإنتاج اللغوي بحسب الجدول مثلا:

الكلمة	ما يقترن بها	لا يقترن بها
رفع	الجلسة	أغلق
شدّ	أزره	ظهره
ضرب	في الأرض	في البر أو غيرها

2- يجب أن يستخرج المحرر للمعجم مختلف السياقات التي وردت فيها الكلمة ليتم التدليل والاستشهاد بها عند الاقتضاء، بحسب من يوجه له المعجم.

3- يجب توزيع النصوص إلى نصوص أدبية ونصوص علمية ونصوص من الحياة اليومية على السواء، ويجب أن تكون محتوية على كل ما يحتاجه المتكلم كلّ بحسب احتياجاته اليومية تحريرا ومشافهة.

4- يقترح الحاج صالح على المعجميين طريقة في ترتيب المداخل تجمع بين مدرستين منتشرتين اليوم هما: مدرسة الترتيب بحسب أصول الكلمات، ومدرسة الترتيب بحسب الكلمات دون النظر إلى أصولها. فيرى أنّه يجب الاعتناء بأصول

الكلمات في عملية الترتيب لئلا تفقد العربية هذه الخاصية المهمة وهي الاشتقاق، مع وضع بعض الكلمات بحسب نطقها عند الحاجة دون مراعاة أصلها، وذلك إذا تعرضت الكلمة لتغيير يذهب جزءا كبيرا منها حتى يصير التعرف عليها صعبا وشاقا.

خاتمة:

هذا ما تيسّر جمعه في هذه المقالة البحثية محاولين تسليط الضوء على ما قدّمه الأستاذ الحاج صالح من جهود في خدمة العربية في ميدان وضع المعجم من حيث الأسس والبناء من جهة، والتقنيات والآليات من جهة أخرى.

الإحالات والهوامش:

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993م، ج1. ص ص 36-37.

[2] الجوهري، الصحاح، مر: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2009، ص 738.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 2825.

[4] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ج 2، ص 158.

[5] المرجع نفسه، الجزء نفسه، الصفحة نفسها. وانظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط2، 1991، ص 3.

[6] علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 3.

[7] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2. ص 26.

[8] انظر: علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص 3.

[9] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[10] انظر إضافة لما سبق: أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 2009، ص 20.

[11] انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 163.

[12] المرجع نفسه، ج 2، الصفحة نفسها.

[13] المرجع نفسه، ج 2، ص ص 139-140. وقام بهذه الحوسبة العظيمة في اللغة الفرنسية مجموعة ATILF بإشراف الدكتور J.M. Pierrel.

[14] المرجع نفسه، ج 2، ص ص 166-167.

[15] المرجع نفسه، ج 1، ص 70.

[16] المرجع نفسه، ج 2، ص 145.

[17] انظر: المرجع نفسه، ج 2، ص ص 158-171.

قائمة المصادروالمراجع:

1- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1993م، الجزء الأول.

2- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ.

3- الجوهري، الصحاح، راجعه واعتنى به: محمد محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، 2009.

4- الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012، الجزءان الأول والثاني.

5- القاسمي، علي، علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية،1991.

6- عمر، أحمد مختار، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، القاهرة، دون طبعة، 2009.